المرجعيات الدينية في ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي

الاستاذ الدكتور حسين عبد حسين الوطيفي
Hussein.alwateefee@uokufa.edu.iq
المدرس المساعد ماجد عباس دهيش
IraqiMajedd33@gmail.com
جامعة الكوفة - كلية الآداب

The religious reference in the Diwan the Collection of Thief Poets in the Pre-Islamic and Islamic Ages.

Prof. Dr. Hussain Abd Hussain
Assis.Teacher. Majed Abbas Deheish
University of Kufa-College of Arts

الملخّص :

تؤدي المرجعيات الثقافية دوراً مهما في الشعر العربي , من خلال مده بالشعرية المكثفة التي تساعده في معالجة هموم الشعراء المختلفة , وقد سعينا في هذا البحث للكشف عن المرجعيات الدينية في شعر اللصوص - ولا سيما شعراء العصر الإسلامي - بوصفها جزءا من مرجعياتهم الثقافية المتنوعة ولعل من أهم تلك المرجعيات (القرآن الكريم , والحديث النبوي الشريف) , وكيفية توظيفهما, وانشغالات الشعراء الفكرية والوجدانية, وتجاربهم الحية وهمومهم في مهنة التلصص , يدفعهم التعري من قيم الأمانة والإنسانية ؛ لردم هوة الإحساس بالفراغ والتجوف الأخلاقي , وهم يواجهون الحياة مجردين , إلّا من استعدادهم النفسي والجسدي , في ضمن مجتمع يتعاطى التعايش والتعامل على وفق منهجية الإسلام الحنيف , الذي تكفلت قوانينه محاربة السلوكيات المنحرفة , والاعتداءات غير المسوغة .

الكلمات المفتاحية : المرجعيات ، الفراغ الأخلاقي ، التعايش ، السلوكيات المنحرفة .

Abstract:

We have sought, through this research, to reveal the cultural references - the religious reference - in the poetry of thieves, in the Noble Qur'an, and the Noble Prophetic hadith, especially the poets of the Islamic era, relying on"the Collection of Thief Poets in the Pre-Islamic and Islamic Ages" as a material for study, and how to employ this reference. Their emotional and intellectual preoccupations, their lived experiences and their concerns in the eavesdropping profession, push them to strip themselves of the values of honesty and humanity. To bridge the gap of sense of emptiness and moral hollowness .

Keywords: The religious ، Moral vacuum Coexistence ، Durable behaviors .

المقدمة

إنّ نصوص الشاعر تتفاعل وتتداخل مع نصوص أخرى محيطة به دينية أو أدبية , أو تأريخية أو اسطورية , فالنص الشعري غير منغلق على نفسه , بل هو امتداد عميق داخل سياقات خارجية محيطة به , فيتحول إلى عالم جديد يتداخل معه , ويشكل النص المستدعى مرجعية ثقافية سواءٌ كان سابقاً لنصه أو معاصراً له , وقد يكون استدعاؤه غير مقصود أو متعمدٍ , بل يأتي عفو الخاطر بوساطة استدعاء المعاني , فيندمج به مكوناً خطاباً جديداً مؤثراً .

إنّ الشعراء متفاوتون في استحضار المعاني السابقة , وقيمتها وأهميتها في بناء نصوصهم واستقامتها , وهو أمر لا يمكن لأي أحدٍ أن يضع له حدوداً , أو يؤطره بقواعد يلتزمها كلّ من الشاعر والمتلقي , بل هو عملية تعتمد على ثقافة المتلقي وإمكاناته , وقدرته على تحديد تلك المرجعيات وتمييزها ومعرفة ما أضافته للنص من ثراء , وما أسبغ عليها المبدع من حياة ؛ ليؤهله لحياة قادمة أكثر جدة من سابقه . ولا يخفى أنّ الإبداع الظاهر في كلّ نص أدبي إنما يعود إلى تنوع مرجعيات المبدع ، وسعتها وعمقها ، وكيفية توظيفها , لتغني نصه وتثريه , فينال بذلك استحسان متلقيه , ويترك أثراً في نفسه يجعله مُنشدّاً إليه .

والشعراء اللصوص قد امتلكوا ثقافة متنوعة على مستوى سير العرب وأنسابهم , وتواريخ الحوادث الواقعة , واستوعبوا الأدب شعراً ونثراً , فضلا عن تأثرهم بالإسلام الحنيف ، وتعاليمه المدونة ، التي شكلت مرجعيات لهم ضمّنوها أشعارهم واستقامت بها نصوصهم , فكانت صوراً حية بحُلة جديدة , في عملية أشبه بتبادل المنفعة , فقد أعطى النص اللّاحق حياة جديدة للنص السابق ، مثلما أفاد هو منه .

لقد كانت (المرجعيات الدينية) المتمثلة بالقرآن الكريم ، وأحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، من بين المرجعيات التي عمل الشاعر اللص على الإفادة

منها وتوظيفها في شعره ، وهو ما سنتناوله في هذا البحث ، مؤشرين أهم التداخلات التي أحدثها الشاعر اللص مع هذه المرجعيات ومدى إفادته منها .

توطئة :

يُعدّ (التضمين والاقتباس) من أهم الآليات التي استعملها الشاعر اللص في استقدام النص التراثي فهما يكشفان عن التزاوج والتفاعل بين المخزون والمبتدع في نصوص الشعراء[١].

ولابد من تسليط الضوء على هذين المصطلحين قبل الشروع بالعمل الإجرائي , في معاينة النص اللصوصي , والكشف عن طرائق تداخله مع النصوص الغائبة , والمواضع التي تداخل بها مع تلك المرجعيات .

- **الاقتباس** : وهو من الفنون البلاغية التي عُرِفت عند العرب في وقت مبكّر , وحُدّ بأنه ((تضمين الكلام نثراً أو نظماً شيئاً من القرآن , أو الحديث النبوي الشريف)) [٢]؛ ليسبغ عليه شيئاً من الانتظام والتزيين[٣], والإفادة منه من خلال تفعيل الدلالة المختزلة من النص القرآني وحديث النبي (ﷺ) .
- **التضمين** : هو فن بلاغي يراد به ((استعارة كلام الأخير وإدخاله في الكلام الجديد)) [٤], أياً كان نوعه من المرجعيات السابقة والمعاصرة لذلك النص الجديد ، على نحو مباشر , أو غير مباشر .

أ – القرآن الكريم :

كتاب الله المقدس المحفوظ بين الدفتين , وفي صدور المسلمين , أنزله الله تبارك وتعالى على نبيه الأكرم (ﷺ) ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٥], فعالج جميع جوانب حياتهم الاجتماعية والفكرية والنفسية , وكان معيناً حاول الجميع النهل منه , لينمي مخزونه اللغوي ((فقد كان للأديب والكاتب ثروة قيمة اطلعتهم على افانين متنوعة من القول وأساليب راقية في تخريج كلامهم تخريجاً بلاغياً رفيعاً, وامدتهم بمعان جديدة لم يعرفوها من قبل)) [٦], ولا سيما الشاعر الذي يكون في عمله أحوج إلى تحري الألفاظ الدالة على المعاني , لترتقي بشعره إلى مصاف الإبداع , ويكون ذا قيمة تأثيرية في متلقيه .

وكان للقرآن الكريم أثر واضح في أشعار اللصوص عند تتبعها , ومعاينة معانيها , وإشاراتهم الواضحة للمضامين القرآنية المباركة , ولا سيما الإسلاميون منهم الذين عاشوا ضمن حدود البيئة الإسلامية , وتأثروا بثقافتها العالية , وقد جاءت اقتباساتهم على نوعين , الاقتباس بالمفردة القرآنية والاقتباس بالآية القرآنية.

- اقتباس المفردة القرآنية :

وهو اقتباس تبدو فيه المفردة المقتبسة ((إشارة مركزة لنص غائب قد تكفي المفردة لاستحضار فاعليته)) [٧] واستجلائها ؛ لما له من أثر في بنية نصه , وفي نفس متلقيه في الوقت نفسه .

يقول جَحدر المُحرزي : من ﴿ البسيط ﴾ .

يـا رَبِّ أبغَـضُ بَيـتٍ عِنـدَ خالِقِـهِ بَيـتٌ بِكوفـانَ مِنْـهُ أُشـعِلَتْ سَـقَرُ[٨]

إنّ محطة السجن من العقبات الكؤود في حياة الشاعر اللص ؛ لما تمثله من ضغط نفسي , فهي محطة توقف عن ممارسة حياته في فضاء من الحرية , وممارسة اللصوصية , فضلاً عما يلقى فيه من تعامل قاس من قبل السجانين بأساليب وحشية متعمدة لإذلاله , ومن ثمّ فليس عجباً أن نجد الشاعر يضج بالشكوى إلى بارئه , واصفاً ذلك السجن بـ (سقر) ؛ لشدة ما يلقى من أهوال فيه , وقد اقتبس الشاعر هذه المفردة من قوله تعالى :﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾[٩], وهي من الألفاظ التي تدور في فلك الألفاظ القرآنية , المعروفة بدلالتها عند المتلقي , ليقيم بها موازنة مع ذلك السجن من حيث شدة المعاناة والألم . فالمفردة من أهم الأسس القائمة في النص بصورة عامة , ولا سيما في النص اللصوصي , فهي أساس صياغة المعاني في مستواها الشكلي , ووساطة نقلها إلى متلقيه[١٠].

يقول مالك بن الريب : من ﴿ الطويل ﴾ .

عَلَـيَّ دِمـاءُ البُـدْنِ إن لَـمْ تُفـارِقي أبا حَرَدَبٍ يَوماً وَأصحابَ حَرَدَبِ[١١]

اقترض الشاعر مفردة (البدن) من قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾[١٢], في حديثه مع نفسه , مشترطاً عليها بعهد يتحمل معه كل تكاليف ما ينحر في

أيام العيد عند البيت الحرام من الأنعام المرافقة لشعيرة الحج[١٣], إن لم تنته من مرافقة اللصوص (أبا حردب) وأتباعه , وقد شكلت هذه المفردة ضوءاً كشف عن المعنى الذي أراده الشاعر , واتسعت معها المساحة الدلالية للنص لحضورها الجلي عند المتلقي.

وقد يستحضر الشاعر اللص المفردة القرآنية بصيغة المضاف والمضاف إليه ؛ لتأخذ بعداً دلالياً أوسع , فيرفد الشاعر نصه بالمضمون القرآني ، لترصين النص الشعري وشدّ متلقيه إليه.

يقول بكر بن النطاح : من ﴿ الطويل ﴾ .

وَمَـنْ يَفْتَقِـرْ مِنّـا يَعِـش بِحُسـامِهِ وَمَـنْ يَفْتَقِـرْ مِـنْ سـائِرِ النّـاس يَسْـأَلِ

وَنَحـنُ وُصِـفنا دونَ كُـلّ قَبيلَـةٍ بِشِـدّةِ بَـأسٍ في الكِتـابِ المُنَـزّلِ[١٤]

يفتخر الشاعر بصفة تميّز بها اللصوص من سواهم من الآخرين , فهم يعتمدون أسلحتهم في استحصال الرزق , رافضين سؤال الناس الذي يضعهم في منزلة الضعة والضعف , معتمداً في إثبات قوتهم وجرأتهم من خلال اقتباس المعنى القرآني بلفظه , الذي أشار إليه في قوله (وصفنا بشدة بأس في الكتاب المنزل) , من قوله تعالى ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ ﴾[١٥], بعد أن تصرف بإعادة ترتيب الموضع المقتبس عما عليه في القرآن (أولي بأس شديد) إلى تقديم المفردات المقتبسة وتأخيرها (بشدة بأس) محافظاً على دلالتها من التناقض والتغيير الذي ورد في الآية القرآنية , سعياً منه إلى إقناع متلقيه إقناعاً لا يساوره شك بعظم شأنهم , وقد مثّل هذا الاستدعاء طليعة الموضوعات الثقافية , التي يمكن أن يتداخل معها الشاعر اللص ويفيد منها .

وقد تنفتح المفردة القرآنية على معنى واسع عند استقدامها في النص الشعري , ولاسيما مع المفردات التي مثلت عنواناً لقصة من قصص القرآن الكريم التي حملت لنا أحداثاً , استثمرها الشاعر لتقوية معناه ومن ثمّ لا يجد المتلقي في استكشافها عنتاً .

يقول محمد بن أنس الأسدي : من ﴿ الوافر ﴾

شَـقَيتُ بِهِـم عَلـى طـولِ التّنـائي كَمـا شَـقِيَت بِأحمَرِهـا ثَمـودُ[١٦]

لقد كان للصراع الذي يعيشه الشاعر _ بسبب مطاردته من قبل السلطة _ أثرٌ كبيرٌ على نفسه استشعر معه قلقاً وإرباكاً , طغى على كل حياته , وإن كان هو المتمرد الذي لا ينصاع لإمر أو توجيه من أحد , فكان حتماً عليه البوح ؛ ليستشعر شيئاً من الراحة بمشاركة متلقيه لمحنته , فاقتبس المفردة القرآنية (ثمود) في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[١٧] ؛ ليوازن بين شقائه وشقاء أولئك القوم ، نتيجة العذاب النازل عليهم , بعد عقرهم الناقة , فقد اختزلت المفردة القرآنية قصة كاملة تحمل مضامين متعددة ، كلها حاضرة عند المتلقي بحضور تلك المفردة المُستقدمة .

(٢) اقتباس الآية القرآنية :

وقد يُضمّن الشاعر اللص نصه آية قرآنية , سواء بحضور بعض ألفاظها , أو ألفاظ أخرى رديفة فيغيب الشكل مع المحافظة على حضور المعنى , الذي يسهم في إذكاء دلالته ؛ لما فيه من ثراء وغنى وقد وظفها في موضوعات مختلفة , لعل أبرزها في موضوع السعي للبقاء , والضياع والتشرد , والتشوق والحنين .

يقول أبو النشناش النهشلي : من ﴿ الطويل ﴾ .

فَمُتْ مُعدَماً أو عِشْ كَريماً فإنّني أرى المَوتَ لا يَنجو مِنَ الموتِ هارِبُهْ[١٨]

إن اصراراً يحدو الشاعر على حياة التمرد ومزاولة التلصص , ليعيش حياة يصنعها على وفق رؤيته لها , فيجد نفسه منفلتاً من كل القوانين التي تحد من ممارساته , وليس لأحدٍ سطوة عليه سوى الموت الذي لا ينجي منه خوف ولا هروب , فاقتبس الآية القرآنية من قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾[١٩], سعياً منه لتحفيز نفسه ورفاقه من اللصوص على مواصلة العمل العدواني , لاستحصال الرزق ونيل العيش الكريم , وعدم الاستسلام للإحباط والذل والهوان .

إنّ معرفة النص القرآني ليست عملية عصية على المتلقي الذي تعامل مع القرآن الكريم بالتقديس والإجلال , وتعايش معه بشكل يومي , وقد انطلق الشاعر من خلال

هذه المعرفة , ليجعل تداخلاته مع القرآن أركاناً يتقوم بها نصه الشعري , وبؤرةً لحديثه تكشف عن المقاصد التي يريدها من خلال الاقتباس.

يقول القتال الكلابي : من ﴿ الكامل ﴾ .

بَحــراً تُنازِعُــهُ البُحــورُ تُمِــدُّهُ إنّ البُحــورَ تَــرى لَهَــنّ شَــرايِعا[٢٠]

يمدح الشاعر من عُرِفَ بكرمه الباذخ , ومواقفه الطيبة , ومن أُعجب بسيرته , وقد توارث هذا الخلق الرفيع عن آبائه , مقتبساً في مدحه مضمون الآية القرآنية من قوله تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢١] وتكرر هذا المضمون في الآية القرآنية من قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[٢٢], فأسبغ على ممدوحه سعة في السماحة والكرم , لا سبيل إلى الإحاطة بهما .

ويقول عبيد بن أيوب : من ﴿ الطويل ﴾ .

لَقَد خِفتُ حتّى كُلُّ نَجوى سَمِعتُها أرى أنّــني مــن ذِكرِهــا بِسَــبيلِ[٢٣]

يعرب الشاعر عن خوف وإرباك وقلق عاشه ؛ بوصفه مطلوبا بجنايات ارتكبها , فأهدر السلطان دمه بسببها , وقد اتخذ من مجاهل الأرض مقراً له[٢٤], فاقتبس جزءاً من مضمون الآية المباركة في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٢٥] , فقد أقام الشاعر نصه على خلفية البنية القرآنية بعد أن حطمها واستخرج ما يناسبه منها من معنى , فاستمد لنصه حياة منه , ووقارا بدا عليه من قدسية القرآن الكريم .

إن التعالق الذي يُحدثه الشاعر اللص مع النصوص القرآنية الباثّة له , ينطلق بها من إيمان اعتقده وتشرب تعاليمه ، بغض النظر عن التزامه بها ؛ لذلك نجده غير منقطع عن تلك المعاني , فهو يلهج بها في شعره , وتخللت مضامينه بمعان جلية , لم يجد متلقيه عسرا في إدراكها وتحديدها ، يقول جحدر المحرزي : من ﴿ البسيط ﴾ .

إنّــي إلى أجــلٍ إنْ كُنْــتُ عالِمَــةً إلَيــهِ مــا مُنتَهــى عِلمــي وآثــاري[٢٦]

يستقدم الشاعر المعنى القرآني ,من قوله تعالى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [٢٧], ليعطي لنفسه جرعة تصبر ، وهو قابع في عمق السجن , يستشعر تضايق جدرانه عليه , وانعدام الأمل في الإفراج عنه , لِلَمْلَمة الشتات والتمزق النفسي الذي يعيشه , واستشعار الوجود بعد الضياع .

فالشاعر اللص _ في أغلب اقتباساته القرآنية _ يعمل على تحوير النص المقتبس ، ويُحرفه عن وجهته الأصلية , فيستثمره في رفد الدلالة المستحدثة في نصه , ويمنحه وجهة مغايرة عمّا كانت عليه، لم يكن المتلقي يتوقع أن ترد بهذا الشكل [٢٨].

يقول السمهري العكلي : من ﴿ الطويل ﴾ .

تَعَلَّــلْ بِلَيلــى إنّمــا أنــتَ هامَــةٌ من الْهامِ يَدنو كُلَّ يَومٍ حِمامُها [٢٩]

لعلّ (ليلى) مثلت مصداقاً للملذات الدنيا في نص الشاعر , وقد بات يحث نفسه على انتهابها والتمتع بها , فوجود الإنسان وحياته ليس إلّا الوقت المحدد ، منذ ولادته إلى لحظة وفاته , موظفا معنى الآية القرآنية اقتباسا من قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[٣٠] فالآية تستعرض رأي المنكرين للمعاد والبعث بعد الممات , إذ يموت بعضهم ، ويولد آخرون في هذه الحياة فحسب[٣١], وقد استثمر الشاعر المعنى وأعاد توجيهه ؛ لأجل اغتنام الملذات , لا إنكاراً وتحدياً كما كان عليه توجيه الآية المباركة .

ب- الحديث النبوي الشريف :

هو ((قول النبي (ﷺ) وفعله وتقريره , وصفته حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام)) [٣٢] ، ويُعدُّ المصدر الثاني في بيان قواعد الشريعة ونظمها ، وتفصيل ما ورد من أحكام قرآنية عند المسلمين بعد القرآن , فمثّل أعلى درجة من درجات الفصاحة ، انعكاساً لفصاحة النبي المرسل (ﷺ) , وهو القائل : (**أنا أفصح العرب , بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر**) [٣٣], وقد أفاد منه الشاعر اللص مثلما أفاد من القرآن الكريم , فاقتبس منه مضامينه ، وأعاد توجيهها توجيهاً ينسجم مع رؤيته هو مخالفة كانت أو متوافقة على ما جاءت عليه , فمنحت نصوصه غنى وثراء , ومثلت

أضواءً كاشفة على مستوى الدلالة في النص الشعري , في كلّ الموضوعات المختلفة التي عالجها الشاعر , فكانت اقتباساته في المضامين بشكل غير مباشر , من خلال تقديم الألفاظ وتأخيرها , أو استعمال الألفاظ الرديفة للحديث النبوي .

يقول السمهري العكلي : من ﴿ الطويل ﴾ .

بَنِـي أسَـدٍ هَـلْ فـيكُمُ مِـنْ هَـوادَةٍ فَتَغْفِرُ إنْ كانَتْ بِيَ النَّعْلُ زَلَّتِ(٣٤)

يقتبس الشاعر مضمون الحديث الشريف من قول النبي (ﷺ) : (**أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلا ويد الله بيده يرفعه**) (٣٥), مستثمراً تأثير مضمون الحديث الشريف في نفوس(بني أسد) ؛ ليجد من يكف عنه الطالبين بجرائمه , ويهيئ له الأمان , فيستشعر الأمن بعد معاناة المطاردة والتشرد والضّياع .

ويقول بكر بن النّطاح : من ﴿ الكامل ﴾ .

أهْـدي إلَيْـكِ نَصـيحَتي وَمَـوَدَّتي قَبْـــلَ اللّقـــاءِ شَـــواهِدِ الأرْواحِ

وَعَلـى القُلـوبِ مِـنَ القُلـوبِ دَلائِـلٌ بـالودِّ قَبْـلَ تَشـاهُدِ الأشْـباحِ (٣٦)

وفي قول الشاعر إشارة إلى حديث النبي الأكرم (ﷺ) : ((**الأرواح جنود مجنّدة , فما تعارف منها ائتلف , وما تناكر منها اختلف**)) (٣٧) , فهو يريد التعبير عن قديم مودته لتلك المرأة ، وارتباط روحيهما في عالم الذّر ، قبل الولوج في الأجسام ، والنزول إلى عالم الدنيا .

وقد يستثمر الشاعر اللص نصائحه (ﷺ) الواردة في أحاديثه , ويسخر نتائجها لصالح مضمونه الذي يسعى إلى تحقيقه.

يقول طهمان بن عمرو : من ﴿ الطويل ﴾ .

خَليليَّ لَيْسَ الرَّأيُ في صَدْرِ واحِدٍ أشـــيرا عَلَـــيَّ اليَـــومَ مـــا تَرِيـــانِ

أأركَبُ صَعْبَ الأمْرِ أنَّ ذلُولَهُ بِنَجْـــرانَ لا يُرْجَـــى لِحـــيْنِ أوانِ(٣٨)

فقد يساور القلق والإرباك نفس الشاعر ؛ نتيجة مخاوف المطاردة من قبل الطالبين له , وهم يتحرون أخباره ويتبعون أثره , فيفقد زمام توجيه رحلته , ليستشير رفاقه ،

ويستهدي بمشورتهم , فعمد إلى اقتباس الحديث النبوي من قوله (ﷺ) : (**ما تشاور قوم قط إلّا هدوا لأرشد أمرهم**) [٣٩].

ويقول القتال الكلابي : من ﴿ الكامل ﴾ .

تُبْـدي الأمـورُ لَـهُ إذا مـا أقْبَلَـت مـا كُـنّ في أدبـارِهِنّ صَـوانِعا[٤٠]

فممدوح الشاعر كان على مستوى من الحنكة والكياسة , بحيث تتبين له نتائج الأمور قبل وقوعها , فعمد إلى ترسيخ هذا المضمون عن طريق اقتباسه الحديث النبوي الشريف من قوله (ص وآله) : (**اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بعين الله**) [٤١]؛ ليبلغ ممدوحه حق الشكر والعرفان .

ويقول دوير بن دؤالة : من ﴿ الطويل ﴾ .

أسِـجْناً وَقَيـداً وَاغْترابـاً وَعُسـرَةَ وَذِكْـرى حَبيـبٍ إنّ ذا لَعَظـيْمُ

وَإنّ امْـرَأً دامَـتْ مَواثيـقُ عَهْـدِهِ عَلـى مِثْـلِ مـا لا قَيْتُـهُ لَكَـرِيْمُ[٤٢]

يقتبس الشاعر مضمون الحديث الشريف البعيد من قول النبي (ص) : (**إنّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنّ الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط**) [٤٣], فعظم الجزاء هو الكرامة الواردة في نص الشاعر , في مقابل تحمله مفردات ما لاقاه من محطات صعبة (أسِجْناً وَقَيداً وَاغْتِراباً وَعُسرَةَ وَذِكْرى حَبيبٍ) , خرج في نهاية المطاف مظفراً ؛ لما تمتع به من قوة تحمل وتصبر .

والملاحظ في اقتباسات الشعراء اللصوص , أنّهم كانوا على دراية بأحكام الإسلام وتعاليمه , وهذا ينمّ عن اعتقاد واضح , إلا أنّ التزام المنهج اللصوصي كان عن فلسفة ورؤية خاصة بهم , تبعا للظروف المحيطة بهم , سواء أكانت قبلية أم سياسية , فعبروا من خلال هذا المنهج عن تمردهم , ورفضهم للسياسات الجائرة بحقهم .

لقد حقق الشاعر اللص إبداعاً عن طريق اقتباساته الدينية , من خلال الخروج على نمطية الشعر العربي الغنائية السابقة للعصر الإسلامي [٤٤] , بما أضفاه الإسلام الحنيف من مُثُل استوعبت حياة الأفراد والجماعات , وانتشرت في الآفاق والنفوس , حتى باتت دلالة شاخصة أمام مرأى الجميع , وأمراً اتفق عليه المبدع ومتلقيه , فإذا كان الشاعر في الحقبة السابقة للإسلام , قد استقدم في شعره ثيمات واقعية مختلفة , أطّر بها نصوصه ,

وجعل المتلقي شريكاً له فيها , وفي قراءتها ، على النحو الذي يتناسب مع ظروف البيئة التي يعيشها , وملابساتها التي تتحكم في تأويل نصوص الشعراء , فإنّ الشاعر اللص قد أضاف موضوعات لم يكن الشاعر العربي القديم على دراية بها , بل لم يكن يتنبأ بها , وهو إبداع في حدّ ذاته , وإن كان الإسلام الحنيف قد قدّمها للصوص هبة مجانية .

هوامش البحث

) ينظر : الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراه) : ١٣ .(١

) التوقيف على مهمات التعاريف : ٢ / ٨١ .(٢

) نهاية الايجاز في فن الاعجاز ١٤٧. (٣

) معجم المصطلحات البلاغية : ٢ / ٢٦٣ . مادة (تضمين) .(٤

(٥) النحل : ٩٨ .

(٦) الأدب العربي من بداية ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي : ٥٥ .

(٧) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراه) : ٣٣ .

(٨) ديوان اللصوص : ١ / ١٥٧ . وينظر : ١ / ٥٨ , ٢ / ١٨ , ١٠٠.

(٩) القمر : ٤٨ .

(١٠) ينظر : دور الكلمة في اللغة : ٤٣ .

(١١) ديوان اللصوص : ٢ / ١٥٣ .

(١٢) الحج : ٣٦ .

(١٣) البدن : بالضم فالسكون جمع بدنة بفتحتين وهي السمينة الضخمة من الإبل ، والسياق أنها من الشعائر بوصفها هديا ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٣٧٥ .

(١٤) ديوان اللصوص : ١ / ١٢٧

(١٥) الفتح : ١٦ .

(١٦) ديوان اللصوص : ٢ / ١٩٥ .

(١٧) هود : ٦١ .

(١٨) ديوان اللصوص : ٢ / ٢٨٦ .

(١٩) النساء : ٧٨ .

(٢٠) ديوان اللصوص : ٢ / ٨٩ .
(٢١) لقمان : ٢٧ .
(٢٢) الكهف : ١٠٩ .
(٢٣) ديوان اللصوص : ١ / ٤٠٩
(٢٤) ينظر : الشعر والشعراء : ٢ / ٧٨٤ .
(٢٥) المنافقون : ٤ .
(٢٦) ديوان اللصوص :١ / ١٥٩ .
(٢٧) الأعراف : ٣٤ .
(٢٨) ينظر : أودونيس منتحلاً : ٥٤ .
(٢٩) ديوان اللصوص : ١ / ٢٨١ .
(٣٠) الجاثية : ٢٤ .
(٣١) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٨ / ١٧٤ .
(٣٢) معجم مصطلحات الحديث ولطائف الاسانيد/ ١٣١.
(٣٣) بحار الأنوار : ١٧ / ١٣٨ .
(٣٤) ديوان اللصوص : ١ / ٢٨٤ .
(٣٥) بحار الأنوار : ٧١ / ٤٠٧ .
(٣٦) ديوان اللصوص : ١ / ١٠١ .
(٣٧) بحار الأنوار : ٦٥ / ٢٠٦ .
(٣٨) ديوان اللصوص : ١ / ٣٧١ .
(٣٩) بحار الأنوار : ٧٥ / ١٠٥ .
(٤٠) ديوان اللصوص : ٢ / ٩٠ .
(٤١) بحار الأنوار : ٢٤ / ١٢٨ .
(٤٢) ديوان اللصوص : ١ / ٢٥٥ .
(٤٣) معارج اليقين في أصول الدين : ٣٠٩ .
(٤٠) ينظر : البنية السردية في شعر الصعاليك : ١٢ .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأدب العربي من بداية ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي – دراسة وصفية نقدية , حبيب يوسف مغنية ومجموعة من الباحثين , دار ومكتبة الهلال , ٢٠٠١ م .
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار , محمد باقر المجلسي , تحقيق السيد ابراهيم الميانجي ومحمد باقر البهبودي , مؤسسة الوفاء , بيروت – لبنان , ط٢ , ١٩٨٣ م .
- ديوان اللصوص, صنعة الدكتور محمد نبيل طريفي , منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط١ , ٢٠٠٤ م .
- دور الكلمة في اللغة , ستيفن أولمن , ترجمة كمال محمد بشر , مكتبة الشباب , (د.ط) , ١٩٧٥ م.
- الميزان في تفسير القرآن , السيد محمد حسين الطباطبائي, مؤسسة الأعلمي بيروت, ط١، ١٩٩٧م.
- الشعر والشعراء, ابن قتيبة الدينوري, تحقيق أحمد محمد شاكر,دار المعارف- القاهرة, ط٢، ١٩٦٧م.
- أودونيس منتحلاً , كاظم جهاد , مكتبة مدبولي , (د.ط) , ١٩٩٣ م .
- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الاسانيد : د . محمد ضياء الرحمن الاعظمي , مكتبة أضواء السلف , ط ١ , ١٩٩٩ م .
- معارج اليقين في أصول الدين, محمد السبزواري , تحقيق علاء آل جعفر , مؤسسة آل البيت (ع) , لإحياء التراث , ط ١ , ١٩٩٣ م .
- **الرسائل والأطاريح** :
- الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراه) , كاظم عبد فريح المولى , جامعة البصرة – كلية التربية , ٢٠٠٦ م .
- البنية السردية في شعر الصعاليك (رسالة ماجستير), ضياء غني لفتة العبودي , جامعة البصرة – كلية التربية , ٢٠٠٦ م .